# العبادات
# شرعيها وبدعيها

من فتاوى
شيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق وتعليق
أبي مريم / مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا
حقوق الطبع محفوظة

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

فاكس: ٠٤٠/٣٣٨٧٦٩

## بسم الله الرحمن الرحيم

## بين يــدى الكتـــاب

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد .....

فقد حرص سلفنا الصالح على نفع أكبر عدد من المسلمين ، وذلك بتبسيط مفاهيم الدين لهم ، وحثهم على العمل بها ، والسعى فى نشرها .

وكان دليلهم فى ذلك هو حرص الصحابة الكرام على السعى فى البلدان ، لنشر الإسلام .

ولقد حرص علماء السلف مند القدم على الحث على الاتباع ، والنهى عن الابتداع ، والدعوة إلى ترك البدع والأهواء ، وإظهار السنن والآثار .

وفى هذا الكتاب نجد حديث الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ابن تيمية عن العبادات التى شرعها الله عز وجل لنا ، وحثنا على القيام بها .

وفى هذا الكتاب نتعرف على العبادات التى جاءت مشروعيتها فى السنة المطهرة .

ونتعلم من هذا الكتاب أن هناك بعض العبادات البدعية التى ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان ، ولا شرعها نبيه ﷺ ، وإنما هى من آراء المبتدعين ، ومن فكر أصحاب الخلوات والطرق الصوفية ، والآراء الفلسفية .

وهذا الكتاب على الرغم من صغر حجمه ، فإن المرء لا ينتهى من قراءته إلا ويشعر بقيمة العلم وفضله ، وقبح الجهل وشؤمه .

فرحم الله الإمام ابن تيمية الذى صنف هذه الرسالة ، وجعلها فى ميزان حسناته ، وأدعو الله أن لا يحرمنى معه الثواب ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

**أبو مريم/ مجدى فتحى السيد إبراهيم**

**طنطا - مصــر**

## أصـــل الكتـــاب

هذا الكتاب فى أصله عبارة عن رسالة من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، كتبها عندما سئل عن العبادات ، والفرق بين بدعيها وشرعيها .

ولقد أخرجت هذه الرسالة من مجموعة فتاوى شيخ الإسلام فى المجلد رقم (١٠) وذلك للحاجة الملحة إلى هذا الموضوع ، ولتيسير وصول القارىء المسلم إلى هذه الأحكام الشرعية ، فإنه يتعذر على المرء أن يشترى مجموعة الفتاوى المكونة من (٣٧) مجلداً .

وتبدأ هذه الرسالة من الصفحة رقم (٣٨٧) وتنتهى عند الصفحة (٤٢١) من المجلد ( العاشر ) .

ولقد حاولت خدمة الكتاب ، وإيضاح ما قد يصعب فيه .

ويعلم الله عز وجل كم بذلت من طاقة فى تحرِّى الصواب ، ولكن أبى الله عز وجل أن يكون الكمال إلا لكتابه ، فمن وجد خيراً فى عملى هذا فهذا من فضل الله علىَّ ، فلا يحرمنى الدعاء بمزيد التوفيق ، وإن كانت الأخرى فليستغفر لى ، وحسبى أن الله يعلم ما فى الصدور ، وأسأل الله – تبارك وتعالى – أن ينفع بهذا العمل سائر المسلمين .

والحمد لله رب العالمين

## ترجمة المؤلف

**١ - نسبه ونشأته :**

هو شيخ الإسلام ، الإمام المجتهد ، تقى الدين ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى .

ولد بحران فى عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ، ثم ارتحل والده به ، وبأخويه إلى دمشق فيمن هاجر إليها من المسلمين فراراً من التتار ، الذين أغاروا على بلاد الإسلام فى ذلك العهد ، وأظهروا فى الأرض الفساد .

فذهب - رحمه الله - إلى دمشق ، وتلقى العلم على مشايخها ، واعتنى بالحديث ، فسمع المسند مرات عديدة ، والكتب الستة ، ومعجم الطبرانى الكبير ، وما لا يحصى من كتب السلف الصالح فى شتى مناحى العلم ، ثم أقبل على التفسير إقبالا كلياً حتى سبق فيه ، وأحكم أصول الفقه ، كل ذلك ، وهو ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر علماء عصره من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته .

وكان يحضر إلى المحافل العلمية ، فيناظر ، ويناقش ، وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة ، وتوفى والده ، وعمره إحدى وعشرون سنة ، فقام مكانه بتفسير القرآن أيام الجمع فى المسجد الجامع .

وهنا يحق لنا أن نقول : إنه لا عجب ، ولا غرو فى نبوغه - رحمه الله - فقد وهبه الله كل عوامل النبوغ ومؤهلاته : وراثة طيبة عميقة الجذور العلمية ، وقوة عقلية ، وذهنية بلغت حد الإعجاب .

ثم اتجه بعد ذلك إلى الحديث رواية وحفظاً ، فرواه عن أعلامه ، وكبار شيوخه فى وقته كابن أبى اليسر ، ومجد الدين بن عساكر ، وفخر الدين ابن البخارى وغيرهم .

ومع الحفظ والرواية كان دَؤوباً على الدروس العلمية ، والبحث فى مختلف العلوم ، وقلما يزاول علماً من العلوم ، إلا ويفتح الله عليه فيه .

وكان يكتب فى كل يوم وليلة فى الفقه ، أو أصوله ، أو التفسير ، أو فى الرد على الفلاسفة وأهل النحل والملل ، نحواً من أربع كراسات .

**٢ – صفاته الشخصية والعلمية :**

كان يمتاز – رحمه الله – بالشجاعة والجلد فى النصح لله ، وللأمة ، وكان يدعو إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ، فأظهر الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فى كل مكان ، كان يذهب إليه . وامتاز – رحمه الله – بقوة الحافظة ، فكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم فى التفسير فهو صاحب علمه ، وإن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو فى الحديث فهو حامل رايته .

ومن صفاته – رحمه الله – كان عالى الهمة ، عزيز النفس ، لا يذل ، ولا يمارى ، وكان صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة فى رأيه ، ومناظراته ، ومؤلفاته .

فمن مواقفه الجريئة التى حفظها لنا التاريخ ما يلى :

١ – لما زحف التتار إلى الشام ، وتسامع الناس بأنهم سيقصدون مصر بعد ذلك ، امتلأت قلوبهم بالرعب ، واتفق أعيان الشام مع شيخ الإسلام ابن تيمية على لقاء ملكهم قازان ، فذهبوا إليه ، وتكلم معه ابن تيمية كلاماً شديداً ، وكانت الغاية أخذ الأمان لأهل دمشق ، ثم إيقاف الزحف ، فجلس الشيخ أمام قازان الذى طلب الدعاء منه ، فرفع يديه ، ودعا له دعاء منصفاً ، أكثر عليه ، وقازان يؤمن على دعائه .

وهذا الموقف يوضح بجلاء ما كان لديه من شجاعة ، وتوكل وثقة فى الله تعالى ، فى الوقت الذى هرب فيه الكثير من الأمراء ، والعلماء ، بل فرَّ أغلب أهل الشام خوفاً من بطش التتار وجبروتهم .

وهكذا يعلمنا الإمام رحمه الله أن المؤمن الصادق فى دعوته إلى الله يقف فى المحن والشدائد صابراً ، لا يخضع ، ولا يلين ، لأى ظالم كان من كان .

٢ - وشكا رجل من الناس إلى ابن تيمية من ظلم نزل به من أميره ، وكان هذا الأمير فيه جبروت وغلظة ، فدخل عليه الشيخ غير هياب ، ولا وجل ، فقال الأمير : أنا كنت أريد أن أجيء إليك لأنك عالم زاهد ، يعنى بهذا الاستهزاء من الشيخ .

فقال الشيخ : موسى كان خيراً منى ؛ وفرعون كان شرًّا منك ، وكان موسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ، ويعرض عليه الإيمان .

٣ - يذكر ابن كثير فى حوادث سنة ٦٩٩ هـ أنه فى السابع عشر من رجب دار الشيخ ابن تيمية - رحمه الله - وأصحابه على الخمارات والحانات ، فكسروا أوانى الخمور وأراقوها وعزّروا الناس الذين اتخذوا تلك الأماكن للفحش ، ففرح الناس بذلك .

**ثالثا : شيوخه وتلاميذه :**

حكى البرزالى أن شيوخه أكثر من مائة شيخ ، وهذا القولُ يوضح لنا كيف كانت همة الشيخ فى السماع كبيرة .

وفى خبر آخر يروى أنه قد بلغ عدد من سمع منهم أكثر من مائتى عالم .

فسمع فى دمشق ابن عبد الدائم ، وابن أبى اليسر ، والمجد بن عساكر ، ويحيى بن الصيرفى ، والشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، وغيرهم .

وقد أخذ الفقه والأصول عن والده ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ، وسمع الحديث عن شمس الدين عطاء الحنفى ، وابن علان ، والكمال عبد الرحيم ، وابن شيبان وغيرهم من شيوخ الحديث حدث عنه خلق كبير منهم : الذهبى ، والبرزالى ، وأبو الفتح بن سيد الناس ، ويكفيه فخراً ، أن من تلاميذه ابن قيم الجوزية الذى أضاف للمكتبة الإسلامية العامرة ، عشرات المؤلفات النافعة الطيبة .

**رابعاً : ثناء العلماء عليه :**

قال الشيخ عماد الدين الواسطى :

( فوالله لم ير تحت أديم السماء مثل ابن تيمية علماً وعملاً ، وحالاً وخُلُقاً ، حلماً وقياماً فى حق الله تعالى عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقداً ، وأصحهم علماً ، وحزماً ، وأعلاهم فى انتصار الحق ، وقيامه همة ، وأسخاهم كفًا ، وأكملهم اتباعاً للنبى ﷺ ) .

وقال الحافظ الذهبى صاحب المصنفات الذائعة :

( شيخنا ، وشيخ الإسلام ، وفريد العصر ، علماً ومعرفة ، وشجاعة ، وذكاء ، ونصحاً للأمة ، وأمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر ، ومحاسنه كثيرة ، وهو أكبر من أن يُنَبِّه على سيرته مثلى ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنى ما رأيت بعينى مثله ، وأنه ما رأى مثل نفسه ) .

وقال ابن الزملكانى إمام الشافعية فى عصره :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله باهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وقد أجمع مؤرخو ابن تيمية على أنه كان فى عصره أمة وحده ، قد توافرت لديه شروط الاجتهاد ، وبلغ رتبة الإمامة ، فى كل فن مارسه ، فكان فى العلوم إماماً مُتَّبَعاً ، سلفى العقيدة والنهج .

**خامساً : مؤلفاته :**

قال الإمام الذهبى : كان بحور العلم ، أثنى عليه الموافق والمخالف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، لعلها ثلاثمائة مجلد .

وقال ابن العماد الحنبلى صاحب شذرات الذهب : إن تصانيفه تبلغ خمسمائة مجلدة .

وهذا يبين لنا مدى سعة التراث العلمى الذى تركه لنا شيخ الإسلام ابن تيمية ، وفى هذه الأيام – القرن العشرين – جمع أحد العلماء فتاوى ابن تيمية، فوصلت إلى سبعة وثلاثين مجلد كبير ، تسمى ( مجموعة فتاوى ابن تيمية ) .

ومن مؤلفاته الذائعة المطبوعة ، نختار بعضها ، فنذكر منها :

١ – اقتضاء الصراط المستقيم .

٢ – رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

٣ – التوسل والوسيلة .

٤ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٥ – السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية .

٦ – الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان .

٧ – العقيدة الوسطية .

٨ – الفرقان بين الحق والباطل .

**سادساً : وفاته :**

ابتلى رحمه الله فى آخر عهده فاعتقل فى قلعة دمشق من شعبان سنة ٧٢٦هـ إلى ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ، ثم مرض بضعة وعشرين ، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ، ولم يفجأهم إلا موته ، وكان مشهد تشييعه إلى المقر الأخير أمرًا عظيمًا ، فقد تزاحم الناس على جنازته ، وعلت الأصوات بالبكاء ، والدعاء له ، ويذكر ابن كثير ، فيما قال فى وصف جنازته وكثرة مشيعها ، أنه لم يتخلف عن الحضور إلا من لم يستطع إلى ذلك سبيلا ، وحضرت نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة آلاف كن على الأسطحة وغيرهن ، وأما الرجال فحزروا بستين ألف إلى مائة ألف ، إلى أكثر من ذلك ، إلى مائتى ألف .

يقول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى :

عثا فى عرضه سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط
تقى الدين أحمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط
توفى وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروا حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا
فتى فى علمه أضحى فريداً ... وحلّ المشكلات به يناط

ورثاه ابن فضل الله العمرى بقصيدة طويلة ، فمنها :

مثل ابن تيمية فى السجن معتقل ... والسجن كالغمد،وهو الصارم الذكر
مثل ابن تيمية تذرى خمائله ... وليس يُلقط من أفنانه الزهر
مثل ابن تيمية شمس تغيب سُدًى ... وما ترقّ بها الآصال والبكر
مثل ابن تيمية يمضى وما عبقت ... بمسكه العاطر الأردان والطرز

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأسكنه فى جنة الخلد ، مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

ونسأله العون والتوفيق والسداد فى كل حال .

## منهج تحقيـــق الرسالـــة

١ - قمت بتصحيح النص ، وتنقيته من الأخطاء التى قد كان أغلبها مطبعى .

٢ - خرّجت ما فى الكتاب من أحاديث نبوية ، وقمت بضبطها ، مع ذكر درجة الحديث كلما أمكن ذلك .

٣ - عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف ، مع ضبطها ضبطاً كاملاً لأهمية هذا الأمر .

٤ - علقت على بعض المواضع التى قد تكون غامضة أمام القارىء ، من توضيح معانى بعض الكلمات ، أو ذكر تعليقات مفيدة .

٥ - وضعت العناوين الداخلية التى تساعد القارىء على الوصول إلى هدفه ، حيث إن الرسالة قد خلت منها .

أخيراً ...

مع صفحات من تراث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أترككم على أمل - من الله - بلقاء متجدد مع كل علم نافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**أبو مريم/مجدى فتحى السيد إبراهيم**

**طنطـا - مصـر**

## [ مقدمـــة المصنـــف ]

قال الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وعبد الله مخلصاً حتى أتاه اليقين من ربه . صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

## فصـــــل

### فى « العبادات » و« الفرق بين شرعيها وبدعيها »

فإن هذا باب كثر فيه الاضطراب كما كثر فى باب الحلال والحرام . فإن أقواماً استحلوا بعض ما حرمه الله ، وأقواماً حرموا بعض ما أحل الله تعالى ، وكذلك أقواماً أحدثوا عبادات لم يشرعها الله بل نهى عنها .

### [ أصل الدين الإسلامى ]

و« أصل الدين » أن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله ؛ ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذى بعث الله به رسوله . قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] .

وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه خط خطًّا ، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : « هذه سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه »[2] ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه ابن أبى عاصم ( ١٣/١ ) فى السنة ، والحاكم ( ٣١٨/٢ ) ، وصححه وأقره الذهبى ، والدارمى ( ٦٧/١ ) ، والطبرى ( ٦٥/٨ ) فى تفسيره ، والخطيب ( ٧٣/٢ ) فى تاريخه .

وقد ذكر الله تعالى فى سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى ، كالبحيرة[3] والسائبة[4] ، واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم ، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[5] ومنه أشياء هى محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش ، مثل الطواف بالبيت عراة[6] وغير ذلك .

والكلام « فى الحلال والحرام » له مواضع أخر .

والمقصود هنا « العبادات » فنقول :

العبادات التى يتقرب بها إلى الله تعالى منها ما كان محبوباً لله ورسوله مرضياً لله ورسوله ، إما واجب وإما مستحب ، كما فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « ما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابُدّ له منه »[7] .

---

(٣) البحيرة : هى الناقة التى تنتج خمسة أبطن ، فكان آخرها ذكراً ، بحروا أذنها أى شقوها ، وأعفوا ظهرها من الركوب ، والحمل ، والذبح ، ولا تمنع عن ماءٍ ترده ، أو مرعى ، وإذا لقيها المجهد المتعب لم يركبها .

(٤) السائبة : كان العرب فى الجاهلية إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يُركب ظهرها ، ولم يُجَزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيفٌ ، وتركوها مُسيبة لسبيلها ، وسموها السائبة .

(٥) سورة الشورى : الآية ٢١ .

(٦) ومن تلبيس إبليس عليهم أنهم كانوا يزعمون أن فعلهم هذا لأنهم لا يريدون الطواف حول البيت بثياب عصوا الله بها .

(٧) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه البخارى ( ١٣١/٨ ) ، والبيهقى ( ٣٤٦/٣ ) ، ( ٢١٩/١٠ ) فى سننه الكبرى .

ومعلوم أن الصلاة منها فرض ، وهى الصلوات الخمس ، ومنها نافلة كقيام الليل ، وكذلك الصيام فيه فرض ، وهو صوم شهر رمضان ومنه نافلة كصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وكذلك السفر إلى المسجد الحرام فرض ، وإلى المسجدين الآخرين : مسجد النبى ﷺ ، وبيت المقدس – مستحب .

وكذلك الصدقة منها ما هو فرض ، ومنها ما هو مستحب ، وهو العفو كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[٨] .

وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « يا ابن آدم ! إنك إن تنفق الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول »[٩] والفرق بين الواجب والمستحب له موضع آخر غير هذا ، والمقصود هنا الفرق بين ما هو مشروع سواء كان واجباً أو مستحباً وما ليس بمشروع .

فالمشروع هو الذى يتقرب به إلى الله تعالى ، وهو سبيل الله ، وهو البر والطاعة والحسنات والخير والمعروف . وهو طريق السالكين ومنهاج القاصدين والعابدين ، وهو الذى يسلكه كل من أراد الله هدايته وسلك طريق الزهد والعبادة ، وما يسمى بالفقر والتصوف[*] ونحو ذلك .

ولا ريب أن هذا يدخل فيه الصلوات المشروعة واجبها ومستحبها ، ويدخل فى ذلك قيام الليل المشروع وقراءة القرآن على الوجه المشروع ، والأذكار والدعوات الشرعية . وما كان من ذلك موقتاً بوقت كطرفى النهار ، وما كان متعلقاً بسبب كتحية المسجد ، وسجود التلاوة ، وصلاة الكسوف ، وصلاة الاستخارة ، وما ورد من الأذكار والأدعية الشرعية فى ذلك . وهذا يدخل فيه أمور كثيرة ، وفى ذلك من الصفات ما يطول وصفه ، وكذلك يدخل فيه الصيام

---

(٨) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

(٩) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٠٣٦) ، والترمذى (٢٣٤٣) ، وأحمد (٢٦٢/٥) ، والبيهقى (١٨٢/٤) فى سننه الكبرى .

(*) يرجع إلى رسالة « الصوفية والفقراء » ففيها بيان واضح ، وهى مطبوعة .

الشرعى كصيام نصف الدهر وثلثه أو ثلثيه أو عشره ، وهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ويدخل فيه السفر الشرعى ، كالسفر إلى مكة ، وإلى المسجدين الآخرين ، ويدخل فيه الجهاد على اختلاف أنواعه ، وأكثر الأحاديث النبوية فى الصلاة والجهاد ، ويدخل فيه قراءة القرآن على الوجه المشروع .

## [ أصول العبادات الدينية ]

و« العبادات الدينية » أصولها : الصلاة والصيام والقراءة التى جاء ذكرها فى الصحيحين فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، لما أتاه النبى ﷺ وقال : « ألم أُحدَّث أنك قلت لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ، ولأقرأن القرآن فى ثلاث ؟ » قال : بلى ! قال : « فلا تفعل : فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين[10] ، ونكهت له النفس »[11] ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقال : إنى أطيق أكثر من ذلك ، فانتهى به إلى صوم يوم وفطر يوم فقال : إنى أطيق أكثر من ذلك فقال : « لا أفضل من ذلك » وقال : « أفضل الصيام صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى . وأفضل القيام قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأمره أن يقرأ القرآن فى سبع »[12] .

ولما كانت هذه العبادات هى المعروفة قال فى حديث الخوارج الذى فى الصحيحين : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق

---

(١٠) هجمت له العين : أى غارت ودخلت فى موضعها ، ومنه الهجوم على القوم ، الدخول عليهم .

(١١) نكهت له النفس : أى ضعفت .

(١٢) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه البخارى ( ٣/٥٢ ) ، ومسلم (١١٥٩) ، وأحمد ( ٢/١٦٩ ) ، وعبد الرزاق (٧٨٦٣) فى مصنفه ، والنسائى ( ٤/٢٠٩ ، ٢١٥ ) ، وأبو داود (٢٤٢٧) ، والبيهقى ( ٣/١٦ ) ، ( ٤/٢٩٩ ) فى سننه الكبرى .

السهم من الرمية »[١٣] فذكر اجتهادهم بالصلاة والصيام والقراءة ، وأنهم يغلون في ذلك حتى تحقر الصحابة عبادتهم في جنب عبادة هؤلاء .

## [ عاقبة الغلو فى العبادة ]

وهؤلاء غلوا في العبادات بلا فقه فآل الأمر بهم إلى البدعة فقال : « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . أينما وجدتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة »[١٤] . فإنهم قد استحلوا دماء المسلمين ، وكفروا من خالفهم . وجاءت فيهم الأحاديث الصحيحة ، قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى : صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ، وقد أخرجها مسلم فى صحيحه ، وأخرج البخارى قطعة منها .

ثم هذه الأجناس الثلاثة مشروعة ، ولكن يبقى الكلام فى القدر المشروع منها ، وله صنف ( كتاب الاقتصاد فى العبادة ) . وقال أبى بن كعب وغيره : ( اقتصاد فى سنة ، خير من اجتهاد فى بدعة )[١٥] .

والكلام فى سرد الصوم[١٦] ، وصيام الدهر سوى يومى العيدين ، وأيام التشريق وقيام جميع الليل ، هل هو مستحب ؟ كما ذهب إلى ذلك طائفة من الفقهاء ، والصوفية والعُبَّاد ، أو هو مكروه – كما دلت عليه السنة – وإن كان جائزاً ؟ لكن صوم يوم وفطر يوم أفضل ، وقيام ثلث الليل أفضل ، ولبسطه موضع آخر .

---

(١٣) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه البخارى ( ٤٣٥١ فتح ) ، (٤٦٦٧) ، ومسلم (١٠٦٤) ، وأبو داود (٤٧٦٤) ، وأحمد ( ٤/٣ ، ٧٣ ) ، والنسائى ( ٨٧/٥ ) ، وعبد الرزاق (١٢٦) فى أماليه ، والبيهقى ( ٣٣٩/٦ ) ، ( ١٨/٧ ) ، ( ١٦٩/٨ ) فى سننه الكبرى .

(١٤) **حديثٌ صحيحٌ** . انظر السابق .

(١٥) أخرجه أحمد ( ص/١٩٨ ) فى الزهد عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(١٦) سرد الصوم : إذا والاه وتابعه .

إذ المقصود هنا الكلام فى أجناس عبادات غير مشروعة حدثت فى المتأخرين كالخلوات فإنها تشتبه بالاعتكاف الشرعى . والاعتكاف الشرعى فى المساجد كما كان النبى ﷺ يفعله هو وأصحابه من العبادات الشرعية .

## [ من حجج المبتدعين ]

وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه[١٧] بغار حراء قبل الوحى ، وهذا خطأ ؛ فإن ما فعله ﷺ قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا . وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ، ولا خلفاؤه الراشدون ، وقد أقام صلوات الله عليه بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة ، ودخل مكة فى عمرة القضاء ، وعام الفتح أقام بها قريباً من عشرين ليلة ، وأتاها فى حجة الوداع ؛ وأقام بها أربع ليال ، وغار حراء قريب منه ولم يقصده .

وذلك أن هذا كانوا يأتونه فى الجاهلية ويقال : إن عبد المطلب هو سن لهم إتيانه لأنه لم تكن لهم هذه العبادات الشرعية التى جاء بها بعد النبوة صلوات الله عليه ، كالصلاة والاعتكاف فى المساجد ، فهذه تغنى عن إتيان حراء بخلاف ما كانوا عليه قبل نزول الوحى ، فإنه لم يكن يقرأ بل قال له الملك عليه السلام : ( اقرأ ) قال صلوات الله عليه وسلامه : « فقلت : لست بقارىء »[١٨] ولا كانوا يعرفون هذه الصلاة ؛ ولهذا لما صلاها النبى ﷺ نهاه عنها من نهاه من المشركين كأبى جهل . قال الله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[١٩]

---

(١٧) التحنث : التعبد .

(١٨) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى ( ١/٣ ) ، وأحمد ( ٦/٢٣٣ ) .

(١٩) سورة العلق : الآيات ٩ - ١٩ .

## [ بدعة الخلوة أربعين يوماً ]

و« طائفة » يجعلون الخلوة أربعين يوماً ويعظمون أمر الأربعينية ، ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة ، وأتمها بعشر ، وقد روى أن موسى عليه السلام صامها ، وصام المسيح أيضاً أربعين لله تعالى وخوطب بعدها . فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل ، كما يقولون فى غار حراء حصل بعده نزول الوحى .

وهذا أيضاً غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت ، والمسلمون لا يسبتون ، وكما حرم فى شرعه أشياء لم تحرم فى شرع محمد ﷺ ، فهذا تمسك بشرع منسوخ ، وذاك تمسك بما كان قبل النبوة .

## [ عاقبة المبتدعين تنزل الشياطين ]

وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين ، وحصل له تنزل شيطانى ، وخطاب شيطانى ، وبعضهم يطير به شيطانه ، وأعرف من هؤلاء عدداً طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل فتنزلت عليهم الشياطين ؛ لأنهم خرجوا عن شريعة النبى ﷺ التى أمروا بها . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٢٠] .

وكثير منهم لا يجد للخلوة مكاناً ، ولا زماناً بل يأمر الإنسان أن يخلو فى الجملة .

---

(٢٠) سورة الجاثية : الآيتان ١٨ – ١٩ .

ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجنس العبادات الشرعية : الصلاة والصيام والقراءة والذكر . وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، فمن ذلك طريقة أبي حامد[٢١] ومن تبعه ، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض ، لا قراءة ولا نظراً فى حديث نبوى ، ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر ، ثم قد يقولون ما يقوله أبو حامد : ذكر العامة : « لا إله إلا الله » وذكر الخاصة : « الله ، الله » وذكر خاصة الخاصة : « هو » « هو »[٢٢] .

## [ بدعة الذكر بالاسم المفرد ]

والذكر بالاسم المفرد مظهراً ، ومضمراً بدعة فى الشرع ، وخطأ فى القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ، ولا كفراً .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « **أفضل الكلام بعد القرآن أربع ، وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر** »[٢٣] . وفى حديث آخر : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله** »[٢٤] .

وقال : « **أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير** »[٢٥] . والأحاديث فى فضل هذه الكلمات كثيرة صحيحة .

---

(٢١) الغزالى ، صاحب الإحياء .

(٢٢) هذا كلامٌ مبتدعٌ مردود على صاحبه .

(٢٣) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه البخارى ( ١٧٣/٨ ) ، وابن أبى شيبة ( ٢٤٢/١٠ ) ، وابن خزيمة (١١٤٢) فى صحيحه ، وأحمد ( ٣٦/٤ ) .

(٢٤) **حديثٌ حسنٌ** . أخرجه الترمذى (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، وابن حبان (٢٣٢٦) ، والحاكم ( ٤٩٨/١ ، ٥٠٣ ) .

(٢٥) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه الترمذى (٣٥٨٥) ، والبيهقى ( ٨٩/٤ ، ٢٨٩ ) ، ( ١١٧/٥ ) فى سننه الكبرى .

وأما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ، ولا فيه إيمان ، ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى ، ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها ، فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات ، فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالاً شيطانياً فيلبسه الشيطان ، ويخيل إليه أنه قد صار فى الملأ الأعلى ، وأنه أعطى ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المعراج ، ولا موسى عليه السلام يوم الطور ، وهذا وأشباهه وقع لبعض من كان فى زماننا .

وأبلغ من ذلك من يقول ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأى شيء كان ، حتى يقول لا فرق بين قولك : يا حى ! وقولك : يا جحش ! وهذا مما قاله لى شخص منهم وأنكرت ذلك عليه ، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان .

ومنهم من يقول : إذا كان قصد وقاصد ومقصود فاجعل الجميع واحداً فيدخله فى أول الأمر فى وحدة الوجود .

وأما أبو حامد وأمثاله ممن أمروا بهذه الطريقة فلم يكونوا يظنون أنها تفضى إلى الكفر - لكن ينبغى أن يعرف أن البدع بريد الكفر - ولكن أمروا المريد أن يفرغ قلبه من كل شيء ، حتى قد يأمروه أن يقعد فى مكان مظلم ، ويغطى رأسه ويقول : الله ، الله . وهم يعتقدون أنه إذا فرغ قلبه استعد بذلك فينزل على قلبه من المعرفة ما هو المطلوب ، بل قد يقولون : إنه يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء .

ومنهم من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء ، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة فى ( الإحياء ) وغيره كما أنه يبالغ فى مدح الزهد ، وهذا من بقايا الفلسفة عليه . فإن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله يزعمون أن كل ما يحصل فى القلوب من العلم للأنبياء وغيرهم فإنما هو من العقل الفعال ؛ ولهذا يقولون : النبوة مكتسبة ، فإذا تفرغ صفى قلبه - عندهم - وفاض على قلبه من جنس ما فاض على الأنبياء . وعندهم أن موسى بن عمران ﷺ كلم من سماء عقله ؛ لم

يسمع الكلام من خارج ، فلهذا يقولون إنه يحصل لهم مثل ما حصل لموسى ، وأعظم مما حصل لموسى .

و« أبو حامد » يقول : إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى عليه السلام ، وإن لم يقصد هو بالخطاب ، وهذا كله لنقص إيمانهم بالرسل وأنهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل وكفروا ببعض ، وهذا الذى قالوه باطل من وجوه :

**أحدها** : إن هذا الذى يسمونه « العقل الفعال » باطل لا حقيقة له كما قد بسط هذا فى موضع آخر .

**الثانى** : أن ما يجعله الله فى القلوب يكون تارة بواسطة الملائكة إن كان حقاً ، وتارة بواسطة الشياطين إذا كان باطلاً ، والملائكة والشياطين أحياء ناطقون كما قد دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء ، وكما يدعى ذلك من باشره من أهل الحقائق . وهم يزعمون أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط . وهذا ضلال عظيم .

عبادات ٥ - ١٠٩

**الثالث** : أن الأنبياء جاءتهم الملائكة من ربهم بالوحى ، ومنهم من كلمه الله تعالى فقربه وناداه ، كما كلم موسى عليه السلام لم يكن ما حصل لهم مجرد فيض كما يزعمه هؤلاء .

**الرابع** : أن الإنسان إذا فرغ قلبه من كل خاطر ، فمن أين يعلم أن ما يحصل فيه حق ؟ هذا إما أن يعلم بعقل أو سمع وكلاهما لم يدل على ذلك .

**الخامس** : أن الذى قد علم بالسمع والعقل أنه إذا فرغ قلبه من كل شىء حلت فيه الشياطين ، ثم تنزلت عليه الشياطين ، كما كانت تتنزل على الكهان ؛ فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذى أرسل به رسله فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢٦). وقال الشيطان فيما أخبر الله عنه : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ

(٢٦) سورة الزخرف : الآيتان ٣٦ – ٣٧ .

﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(٢٧) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(٢٨) والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً ، وإنما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين .

وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين ، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية بالأحوال الشيطانية ، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة ، وظنوا أن ذلك من كرامات أولياء الله المتقين ، كما قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع .

**السادس** : أن هذه الطريقة لو كانت حقًّا فإنما تكون فى حق من لم يأته رسول فأما من أتاه رسول ، وأمر بسلوك طريق فمن خالفه ضل . وخاتم الرسل ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، لم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ما ينزل .

فهذه الطريقة لو قدر أنها طريق لبعض الأنبياء لكانت منسوخة بشرع محمد ﷺ ، فكيف وهى طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريق الاتفاق ، بأن يقذف الله تعالى فى قلب العبد إلهاماً ينفعه ؟ وهذا قد يحصل لكل أحد ليس هو من لوازم هذه الطريق .

ولكن التفريغ والتخلية التى جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ويملؤه بما يحبه الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ويدخل فيه خوف الله تعالى ، وينفى عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله . وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذى يمده القرآن ويقويه ، لا يناقضه وينافيه ، كما قال جندب وابن عمر : « تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا » .

---

(٢٧) سورة ص : الآيتان ٨٢ – ٨٣ .
(٢٨) سورة الحجر : الآية ٤٢ .

وأما الاقتصار على الذكر المجرد الشرعى مثل قول : لا إله إلا الله فهذا قد ينتفع به الإنسان أحياناً ، لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه ، بل أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم القراءة ثم الذكر ثم الدعاء ، والمفضول فى وقته الذى شرع فيه أفضل من الفاضل كالتسبيح فى الركوع والسجود فإنه أفضل من القراءة ، وكذلك الدعاء فى آخر الصلاة أفضل من القراءة ، ثم قد يفتح على الإنسان فى العمل المفضول ما لا يفتح عليه فى العمل الفاضل . وقد ييسر عليه هذا دون هذا فيكون هذا أفضل فى حقه لعجزه عن الأفضل ، كالجائع إذا وجد الخبز المفضول متيسراً عليه والفاضل متعسراً عليه فإنه ينتفع بهذا الخبز المفضول ، وشبعه واغتذاؤه به حينئذ أولى به .

**السابع** : أن أبا حامد يشبه ذلك بنقش أهل الصين والروم على تزويق الحائط ، وأولئك صقلوا حائطهم حتى تمثل فيه ما صقله هؤلاء وهذا قياس فاسد لأن هذا الذى فرغ قلبه لم يكن هنالك قلب آخر يحصل له به التحلية كما حصل لهذا الحائط من هذا الحائط . بل هو يقول إن العلم منقوش فى النفس الفلكية ؛ ويسمى ذلك « اللوح المحفوظ » تبعاً لابن سينا .

وقد بينا فى غير هذا الموضع أن « اللوح المحفوظ » الذى ذكره الله ورسوله ليس هو النفس الفلكية ، وابن سينا ومن تبعه أخذوا أسماء جاء بها الشرع فوضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع ، فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة .

وهذا كلفظ « الملك » و« الملكوت » و« الجبروت » و« اللوح المحفوظ » و« الملك » و« الشيطان » و« الحدوث » و« القدم » وغير ذلك .

وقد ذكرنا من ذلك طرفاً فى الرد على « الاتحادية » لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربى وما يوجد فى كلام أبى حامد ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة الذين يحرفون كلام الله ورسوله عن مواضعه ، كما فعلت طائفة القرامطة الباطنية .

و( المقصود هنا ) أنه لو كانت العلوم تنزل على القلوب من النفس الفلكية كما يزعم هؤلاء فلا فرق فى ذلك بين الناظر والمستدل والمفرغ قلبه ، فتمثيل ذلك بنقش أهل الصين والروم تمثيل باطل .

## [ من البدع : الجوع والسهر والصمت مع الخلوة ]

ومن أهل هذه الخلوات من لهم أذكار معينة وقوت معين ، ولهم تنزلات معروفة . وقد بسط الكلام عليها ابن عربى الطائى ومن سلك سبيله كالتلمسانى . وهى تنزلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه متعددة ، لكن ليس هذا موضع بسطها ، وإنما المقصود التنبيه على هذا الجنس .

ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية ، بل سهر مطلق ، وجوع مطلق ، وصمت مطلق مع الخلوة ، كما ذكر ذلك ابن عربى وغيره ، وهى تولد لهم أحوالاً شيطانية . وأبو طالب قد ذكر بعض ذلك ؛ لكن أبو طالب أكثر اعتصاماً بالكتاب والسنة من هؤلاء . ولكن يذكر أحاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة ، من جنس أحاديث المسبعات(*) التى رواها عن الخضر عن النبى ﷺ ، وهو كذب محض وإن كان ليس فيه إلا قراءة القرآن ، ويذكر أحياناً عبادات بدعية من جنس ما بالغ فى مدح الجوع هو وأبو حامد وغيرهما ، وذكروا أنه يزن الخبز بخشب رطب ، كلما جف نقص الأكل .

وذكروا صلوات الأيام والليالى ، وكلها كذب موضوعة ؛ ولهذا قد يذكرون مع ذلك شيئاً من الخيالات الفاسدة وليس هذا موضع بسط ذلك .

وإنما الغرض التنبيه بهذا على جنس من العبادات البدعية وهى « الخلوات البدعية » سواء قدرت بزمان أو لم تقدر ، لما فيها من العبادات البدعية . إما التى جنسها مشروع ولكن غير مقدرة . وإما ما كان جنسه غير مشروع ؛ فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب .

---

(*) أحاديث تحث على الخلوة سبع ليالى ، وهى موضوعة .

عبادات ٦ - ١٠٩

**فالأول** : كاعتزال الأمور المحرمة ومجانبتها كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[٢٩] .
ومنه قوله تعالى عن الخليل : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾[٣٠] . وقوله عن أهل الكهف : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[٣١] فإن أولئك لم يكونوا فى مكان فيه جمعة ولا جماعة ، ولا من يأمر بشرع نبى فلهذا أووا إلى الكهف وقد قال موسى : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾[٣٢] .

[ سورة الدخان : ٢١]

## [ حكم اعتزال الناس فى المباحات ]

وأما اعتزال الناس فى فضول المباحات وما لا ينفع ، وذلك بالزهد فيه فهو مستحب ، وقد قال طاووس : نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه[٣٣] .

وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى فى بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة ، فهذا حق كما فى الصحيحين : « أن النبى ﷺ سئل : أى الناس أفضل ؟ قال : « رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة[٣٤] طار إليها يتتبع الموت مظانه ، ورجل معتزل فى شعب من الشعاب يقيم

---

(٢٩) سورة الأنعام : الآية ٦٨ .
(٣٠) سورة مريم : الآية ٤٩ .
(٣١) سورة الكهف : الآية ١٦ .
(٣٢) سورة الدخان : الآية ٢١ .
(٣٣) أخرجه ابن المبارك (٤) فى زوائد الزهد ، وأحمد ( ص/١٦٨ ) فى الزهد ، كلاهما من كلام أبى الدرداء رضى الله عنه .
(٣٤) هيع : الهيعة صوت الصارخ للفزع ، وقيل : الصوت الذى تفزع منه ، وتخافه من عدو .

الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويدع الناس إلا من خير »[٣٥] . وقوله : « يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة » دليل على أن له ما لا يزكيه وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم ، فقد قال صلوات الله عليه : « ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان »[٣٦] . وقال : « عليكم بالجماعة فإنما يأخذ الذئب القاصية[٣٧] من الغنم »[٣٨] .

## فصـــل

وهذه « الخلوات » قد يقصد أصحابها الأماكن التى ليس فيها أذان ولا إقامة ، ولا مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس ، إما مساجد مهجورة وإما غير مساجد : مثل الكهوف والغيران التى فى الجبال ، ومثل المقابر لا سيما قبر من يحسن به الظن ، ومثل المواضع التى يقال إن بها أثر نبى أو رجل صالح ، ولهذا يحصل لهم فى هذه المواضع أحوال شيطانية ، يظنون إنها كرامات رحمانية .

فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه وقد مات من سنين كثيرة ويقول : أنا فلان ، وربما قال له : نحن إذا وضعنـا فى القبر خرجنا كما جرى للتونسى مع نعمان السلامى .

والشياطين كثيراً ما يتصورون بصورة الإنس فى اليقظة والمنام ، وقد تأتى لمن لا يعرف فتقول : أنا الشيخ فلان ، أو العالم فلان ، وربما قالت : أنا أبو بكر وعمر وربما أتى فى اليقظة دون المنام وقال : أنا المسيح ، أنا موسى ، أنا محمد ،

---

(٣٥) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد ( ٣٢٢/١ ) ، والنسائى ( ٨٣/٥ ) ، وابن حبان ( ٤٠٤/١ – ٤٠٥ ) ، والحاكم ( ٤٤٦/٤ ، ٤٦٤ ) كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه وله شواهد من حديث أم مبشر ، وأم مالك البهزية .

(٣٦) **حديث حسن** . أخرجه أحمد ( ١٩٦/٥ ) ، وأبو داود (٥٤٧) ، والنسائى ( ١٠٦/٢ ) ، وابن خزيمة (١٤٨٦) ، والحاكم ( ٢١١/١ ) ، وابن حبان ( ٢٦٧/٣ ) ، والبغوى (٧٩٣) فى شرح السنة .

(٣٧) القاصية : المتفردة ، الشاردة .

(٣٨) انظر رقم (٣٦) .

وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون فى اليقظة فى صورهم ، وثم شيوخ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا .

ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتى إلى قبر نبى أن النبى يخرج من قبره فى صورته فيكلمه . ومن هؤلاء من رأى فى دائرة ذرى الكعبة صورة شيخ قال : إنه إبراهيم الخليل ، ومنهم من يظن أن النبى ﷺ خرج من الحجرة وكلمه . وجعلوا هذا من كراماته ، ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه .

وبعضهم كان يحكى : أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ، ودخل فسأل النبى ﷺ عن ذلك فأجابه ، وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك ، وجعل ذلك من كراماته ، حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟ فهل فى هؤلاء من سأل النبى ﷺ بعد الموت وأجابه ؟ وقد تنازع الصحابة فى أشياء ، فهلا سألوا النبى ﷺ فأجابهم ، وهذه ابنته فاطمة تنازع فى ميراثه فهلا سألته فأجابها ؟

## فصـــل

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين قد أمرنا أن نؤمن بما أوتوه وأن نقتدى بهم وبهداهم . قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٣٩) وقال تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(٤٠) ومحمد ﷺ ، خاتم النبيين لا نبى بعده ، وقد نسخ بشرعه ما نسخه من شرع غيره ، فلم يبق طريق إلى الله إلا باتباع محمد ﷺ فما أمر به من العبادات أمر إيجاب

---

(٣٩) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

(٤٠) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

أو استحباب فهو مشروع ، وكذلك ما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله .

## حكم العمل بالأحاديث الضعيفـــة

ولا يجوز أن يقال إن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعى ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف ، لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعى ، وروى له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تروى إذا لم يعلم أنها كذب[٤١] ، وذلك أن مقادير الثواب غير معلومة ، فإذا روى فى مقدار الثواب حديث لا يعرف أنه كذب لم يجز أن يكذب به ، وهذا هو الذى كان الإمام أحمد ابن حنبل وغيره يرخصون فيه وفى روايات أحاديث الفضائل . وأما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب مشروع بحديث ضعيف فحاشا لله ، كما أنهم إذا عرفوا أن الحديث كذب فإنهم لم يكونوا يستحلون روايته إلا أن يبينوا أنه كذب لقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[٤٢] .

(٤١) شرائط العمل بالضعيف ثلاثة :

**الأول** : متفق عليه ، أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج من انفرد من الكذابين والمهتمين بالكذب ، ومن فحش غلطه .

**الثانى** : أن يكون مندرجاً تحت أصل عام ، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً .

**الثالث** : أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، لئلا ينسب إلى النبى ﷺ ما لم يقله .

انظر : ضعيف الجامع ( ٤٨/١ ) للألبانى .

(٤٢) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم ( ٩/١ مقدمة ) ، وأحمد ( ١٤/٥ ، ١٩ ، ٢٠ ) ، وابن ماجه (٤٠) ، وابن حبان (٢٩) ، وأبو نعيم ( ٣٧٨/٤ ) فى الحلية ، والطبرانى (٦٧٥٧) فى الكبير ، والبيهقى ( ٣٤/١ ) فى دلائل النبوة ، والخطيب ( ١٦١/٤ ) فى تاريخه .

وما فعله النبى ﷺ على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسى به فيه . فإذا خصص زمان أو مكان بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة : كتخصيصه العشر الأواخر بالاعتكاف فيها ، وكتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه ، فالتأسى به أن يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذى فعل ؛ لأنه فعل .

وذلك إنما يكون بأن يقصد مثلما قصد ، فإذا سافر لحج أو عمرة أو جهاد ، وسافرنا كذلك كنا متبعين له ، وكذلك إذا ضرب لأقامة حد ؛ بخلاف من شاركه فى السفر ، وكان قصده غير قصده ، أو شاركه فى الضرب وكان قصده غير قصده ، فهذا ليس بمتابع له ، ولو فعل فعلاً بحكم الاتفاق مثل نزوله فى السفر بمكان ، أو أن يفضل فى إداوته ماء فيصبه فى أصل شجرة ، أو أن تمشى راحلته فى أحد جانبى الطريق ونحو ذلك ، فهل يستحب قصد متابعته فى ذلك ؟ كان ابن عمر يحب أن يفعل مثل ذلك . وأما الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة فلم يستحبوا ذلك ؛ لأن هذا ليس بمتابعة له ، إذ المتابعة لابد فيها من القصد ، فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل بل حصل له بحكم الاتفاق كان فى قصده غير متابع له وابن عمر رضى الله عنه يقول : وإن لم يقصده ؛ لكن نفس فعله حسن على أى وجه كان ، فأحب أن أفعل مثله ، إما لأن ذلك زيادة فى محبته ، وإما لبركة مشابهته له .

ومن هذا الباب إخراج التمر فى صدقة الفطر لمن ليس ذلك قوته وأحمد قد وافق ابن عمر على مثل ذلك ، ويرخص فى مثل ما فعل ابن عمر وكذلك رخص أحمد فى التمسح بمقعده من المنبر اتباعاً لابن عمر . وعن أحمد فى التمسح بالمنبر روايتان :

أشهرهما أنه مكروه كقول الجمهور ، وأما مالك وغيره من العلماء فيكرهون هذه الأمور وإن فعلها ابن عمر ؛ فإن أكابر الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم لم يفعلها ، فقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان فى السفر فرآهم ينتابون مكاناً يصلون فيه فقال : « ما هذا ؟ قالوا : مكان صلى فيه رسول الله ﷺ . فقال : أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم

مساجد ؟! إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، من أدركته فيه الصلاة فليصل فيه وإلا فليمض .

وهكذا للناس قولان فيما فعله من المباحات على غير وجه القصد هل متابعته فيه مباحة فقط أو مستحبة ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره كما قد بسط ذلك فى موضعه ، ولم يكن ابن عمر ولا غيره من الصحابة يقصدون الأماكن التى كان ينزل فيها ويبيت فيها مثل بيوت أزواجه ومثل مواضع نزوله فى مغازيه ، وإنما كان الكلام فى مشابهته فى صورة الفعل فقط ، وإن كان هو لم يقصد التعبد به ، فأما الأمكنة نفسها فالصحابة متفقون على أنه لا يعظم منها إلا ما عظمه الشارع .

## فصــــل

## [ تزيين الشيطان للعبادات البدعية ]

وأهل « العبادات البدعية » يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم فى العلم والقرآن والحديث ، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره ، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب فلا يحبون كتاب ولا من معه كتاب ، ولو كان مصحفاً أو حديثاً ؛ كما حكى النصرباذى أنهم كانوا يقولون : يدع علم الخرق ويأخذ علم الورق ، قال : وكنت أستر ألواحى منهم ، فلما كبرت احتاجوا إلى علمى .

وكذلك حكى السرى السقطى : أن واحداً منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلماً خرج ولم يقعد عنده ؛ ولهذا قال سهل بن عبد الله التسترى : يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق . وقال الجنيد : علمنا هذا مبنى على الكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الشأن .

وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب ؛ وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم ، فصارت شياطينهم تهربهم من هذا ، كما يهرب اليهودى والنصرانى ابنه أن يسمع

كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده فى دينه ، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم فى آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه . وقال الله تعالى عن المشركين : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(٤٣) . وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾(٤٤) . وهم من أرغب الناس فى السماع البدعى سماع المعازف . ومن أزهدهم فى السماع الشرعى سماع آيات الله تعالى .

وكان مما زين لهم طريقهم أن وجدوا كثيراً من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله ، إما اشتغالاً بالدنيا ، وإما بالمعاصى ، وإما جهلاً وتكذيباً بما يحصل لأهل التأله والعبادة فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم ، وصار بين الفريقين نوع تباغض يشبه من بعض الوجوه ما بين أهل الملتين : هؤلاء يقولون : ليس هؤلاء على شىء . وهؤلاء يقولون : ليس هؤلاء على شىء . وقد يظنون أنهم يحصل لهم بطريقهم أعظم مما يحصل فى الكتب .

فمنهم من يظن أنه يلقن القرآن بلا تلقين . ويحكون أن شخصاً حصل له ذلك ، وهذا كذب . نعم قد يكون سمع آيات الله فلما صفى نفسه تذكرها فتلاها . فإن الرياضة تصقل النفس فيذكر أشياء كان قد نسيها ، ويقول بعضهم أو يحكى أن بعضهم قال : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . وهذا يقع ، لكن منهم من يظن إنما يلقى إليه من خطاب أو خاطر هو من الله تعالى بلا واسطة ، وقد يكون من الشيطان وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحمانى والشيطانى ، فإن الفرق الذى لا يخطىء هو القرآن والسنة فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو خطأ .

(٤٣) سورة فصلت : الآية ٢٦ .

(٤٤) سورة المدثر : الآيات ٤٩ - ٥١ .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾[45] .

وذكر الرحمن هو ما أنزله على رسوله . قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[46] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[47] . وقال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[48] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[49] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[50] . وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[51] . وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[52] .

---

(٤٥) سورة الزخرف : الآيات ٣٦ – ٣٨ .
(٤٦) سورة الأنبياء : الآية ٥٠ .
(٤٧) سورة القلم : الآية ٥٢ .
(٤٨) سورة طه : الآيات ١٢٣ – ١٢٦ .
(٤٩) سورة الإسراء : الآيتان ٩ – ١٠ .
(٥٠) سورة الشورى : الآيتان ٥٢ – ٥٣
(٥١) سورة إبراهيم : الآية ١ .
(٥٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

ثم إن هؤلاء لما ظنوا أن هذا يحصل لهم من الله بلا واسطة صاروا عند أنفسهم أعظم من اتباع الرسول . يقول أحدهم : فلان عطيته على يد محمد ، وأنا عطيتى من الله بلا واسطة . ويقول أيضاً : فلان يأخذ عن الكتاب ، وهذا الشيخ يأخذ عن الله ، ومثل هذا .

## [ من أقوال المبتدعين ]

وقول القائل : « يأخذ عن الله ، وأعطانى الله » لفظ مجمل ، فإن أراد به الإعطاء والأخذ العام وهو « الكونى الخلقى » أى : بمشيئة الله وقدرته حصل لى هذا ، فهو حق ، ولكن جميع الناس يشاركونه فى هذا ، وذلك الذى أخذ عن الكتاب هو أيضاً عن الله أخذ بهذا الاعتبار . والكفار من المشركين وأهل الكتاب أيضاً هم كذلك ، وإن أراد أن هذا الذى حصل له هو مما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه ، وهذا الخطاب الذى يلقى إليه هو كلام الله تعالى . فهنا طريقان :

**أحدهما** : أن يقال له من أين لك أن هذا إنما هو من الله لا من الشيطان وإلقائه ووسوسته ؟ فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم وينزلون عليهم ، كما أخبر الله تعالى بذلك فى القرآن ، وهذا موجود كثيراً فى عباد المشركين وأهل الكتاب وفى الكهان والسحرة ونحوهم وفى أهل البدع بحسب بدعتهم . فإن هذه الأحوال قد تكون شيطانية وقد تكون رحمانية ، فلابد من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والفرقان إنما هو الفرقان الذى بعث الله به محمداً ﷺ فهو : ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٥٣) وهو الذى فرق الله به بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الرشاد والغى ، وبين طريق الجنة وطريق النار ، وبين سبيل أولياء الرحمن وسبيل أولياء الشيطان . كما قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع .

( والمقصود هنا ) أنه يقال لهم : إذا كان جنس هذه الأحوال مشتركا بين أهل الحق وأهل الباطل فلابد من دليل يبين أن ما حصل لكم هو الحق .

---

(٥٣) سورة الفرقان : الآية ١ .

**الطريق الثانى** : أن يقال : بل هذا من الشيطان لأنه مخالف لما بعث الله به محمداً ﷺ ؛ وذلك أنه ينظر فيما حصل له وإلى سببه ، وإلى غايته ، فإن كان السبب عبادة غير شرعية مثل أن يقال له : اسجد لهذا الصنم حتى يحصل لك المراد . أو استشفع بصاحب هذه الصورة حتى يحصل لك المطلوب ، أو ادع هذا المخلوق واستغث به مثل أن يدعو الكواكب كما يذكرونه فى كتب دعوة الكواكب ، أو أن يدعو مخلوقاً كما يدعو الخالق سواء كان المخلوق ملكاً أو نبياً أو شيخاً ، فإذا دعاه كما يدعو الخالق سبحانه إما دعاء عبادة ، وإما دعاء مسألة صار مشركاً به ، فحينئذ ما حصل له بهذا السبب حصل بالشرك كما كان يحصل للمشركين .

وكانت الشياطين تتراءى لهم أحياناً ، وقد يخاطبونهم من الصنم ويخبرونهم ببعض الأمور الغائبة ، أو يقضون لهم بعض الحوائج ، فكانوا يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذى هلكوا بزواله كالسحر . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٥٤) .

## [ من أسباب الوقوع فى البدع ]

وكذلك قد يكون سببه سماع المعازف وهذا كما يذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال : « اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث ؛ وإن رجلاً سأل امرأة فقالت : لا أفعل حتى تسجد لهذا الوثن ، فقال : لا أشرك بالله ، فقالت : أو تقتل هذا الصبى ؟ فقال : لا أقتل النفس التى حرم الله ، فقالت : أو تشرب هذا القدح ؟

(٥٤) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

فقال : هذا أهون ، فلما شرب الخمر قتل الصبى وسجد للوثن وزنا بالمرأة »[٥٥] .

و« المعازف » هى خمر النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش ، وإلى الظلم ، فيشركون ويقتلون النفس التى حرم الله ويزنون .

وهذه « الثلاثة » موجودة كثيراً فى أهل « سماع المعازف » : سماع المكاء والتصدية ، أما « الشرك » فغالب عليهم بأن يحبوا شيخهم أو غيره مثل ما يحبون الله ويتواجدون على حبه .

وأما « الفواحش » فالغناء رقية الزنا[٥٦] ، وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش ، ويكون الرجل والصبى والمرأة فى غاية العفة والحرية حتى يحضره ، فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلاً أو مفعولاً به أو كلاهما كما يحصل بين شاربى الخمر وأكثر .

وأما « القتل » فإن قتل بعضهم بعضاً فى السماع كثير يقولون : قتله بحاله ويعدون ذلك من قوته ، وذلك أن معهم شياطين تحضرهم فأيهم كانت شياطينه أقوى قتل الآخر ، كالذين يشربون الخمر ومعهم أعوان لهم فإذا شربوا عربدوا فأيهم كانت أعوانه أقوى قتل الآخر ، وقد جرى مثل هذا لكثير منهم ، ومنهم من يقتل إما شخصاً ، وإما فرساً ، أو غير ذلك بحاله ، ثم يقوم صاحب الثأر ويستغيث بشيخه فيقتل ذلك الشخص وجماعة معه : إما عشرة ، وإما أقل أو أكثر . كما جرى مثل هذا لغير واحد ، وكان الجهال يحسبون هذا من ( باب الكرامات ) .

---

(٥٥) **أثر صحيح** . أخرجه النسائى ( ٣١٥/٨ ) فى سننه ، والبيهقى ( ٢٨٧/٨ ) فى سننه الكبرى ، وابن أبى الدنيا فى ذم المسكر كما فى الدر المنثور ( ٣٢٢/٢ ) ، .

(٥٦) من كلام الفضيل بن عياض ، أورده ابن الجوزى ( ص/٢٣٥ ) فى تلبيس إبليس ، والطبرى ( ص/٤٩ ) فى الرد على من يحب السماع ، والغزالى ( ٢٨٣/٢ ) فى الإحياء ، والسيوطى ( ١٥٩/٥ ) فى الدر المنثور .

فلما تبين لهم أن هذه أحوال شيطانية ، وأن هؤلاء معهم شياطين تعينهم على الإثم والعدوان عرف ذلك من بصره الله تعالى وانكشف التلبيس والغش الذى كان لهؤلاء .

وكنت فى أوائل عمرى حضرت مع جماعة من أهل « الزهد والعبادة والإرادة » فكانوا من خيار أهل هذه الطبقة . فبتنا بمكان وأرادوا أن يقيموا سماعاً ، وأن أحضر معهم فامتنعت من ذلك فجعلوا لى مكاناً منفرداً قعدت فيه ، فلما سمعوا وحصل الوجد والحال صار الشيخ الكبير يهتف بى فى حال وجده ويقول : يا فلان قد جاءك نصيب عظيم تعال خذ نصيبك ، فقلت فى نفسى ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا : أنتم فى حل من هذا النصيب فكل نصيب لا يأتى عن طريق محمد بن عبد الله فإنى لا آكل منه شيئاً . وتبين لبعض من كان فيهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين ، وكان فيهم من هو سكران بالخمر .

والذى قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والموهبة والحال سببها غير شرعى ، ليس هو طاعة الله ورسوله ولا شرعها الرسول فهو مثل من يقول : تعال اشرب معنا الخمر ونحن نعطيك هذا المال ، أو عظم هذا الصنم ونحن نوليك هذه الولاية ونحو ذلك .

## [ من أحكام النذور ](*)

وقد يكون سببه نذراً لغير الله سبحانه وتعالى : مثل أن ينذر لصنم أو كنيسة ، أو قبر ، أو نجم ، أو شيخ ونحو ذلك من النذور التى فيها شرك ، فإذا أشرك بالنذر فقد يعطيه الشيطان بعض حوائجه كما تقدم فى السحر .

وهذا بخلاف النذر لله تعالى فإنه ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأتى بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل »(٥٧) . وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه . وفى رواية :

(*) تم افراد

(٥٧) **حديثٌ صحيحٌ** . أخرجه البخارى ( ١٥٥/٨ ، ١٧٦ ) ، ومسلم (١٦٣٩) ، وأحمد ( ٦١/٢ ، ٨٦ ) ، والنسائى ( ١٦/٧ ) .

« فإن النذر يلقى ابن آدم إلى القدر »(٥٨) فهذا المنهى عنه هو النذر الذى يجب الوفاء به منهى عن عقده ، ولكن إذا كان قد عقده فعليه الوفاء به كما فى صحيح البخارى عن النبى ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »(٥٩) .

وإنما نهى عنه ﷺ لأنه لا فائدة فيه إلا التزام ما التزمه وقد لا يرضى به فيبقى آثماً ، وإذا فعل تلك العبادات بلا نذر كان خيراً له ، والناس يقصدون بالنذر تحصيل مطالبهم ، فبين النبى ﷺ أن النذر لا يأتى بخير ، فليس النذر سبباً فى حصول مطلوبهم ، وذلك أن الناذر إذا قال : لله على إن حفظنى الله القرآن أن أصوم مثلاً ثلاثة أيام ، أو إن عافانى الله من هذا المرض ، أو إن دفع الله هذا العدو ، أو إن قضى عنى هذا الدين فعلت كذا ، فقد جعل العبادة التى التزمها عوضاً عن ذلك المطلوب . والله سبحانه لا يقضى تلك الحاجة بمجرد تلك العبادة المنذورة ، بل ينعم على عبده بذلك المطلوب ليبتليه أيشكر أم يكفر ؟ وشكره يكون بفعل ما أمره به ، وترك ما نهاه عنه .

وأما تلك العبادة المنذورة فلا تقوم بشكر تلك النعمة ولا ينعم الله تلك النعمة ليعبده العبد تلك العبادة المنذورة التى كانت مستحبة فصارت واجبة ؛ لأنه سبحانه لا يوجب تلك العبادة ابتداء ، بل هو يرضى من العبد بأن يؤدى الفرائض ويجتنب المحارم ، لكن هذا الناذر يكون قد ضيع كثيراً من حقوق الله ثم بذل ذلك النذر لأجل تلك النعمة ، وتلك النعمة أجل من أن ينعم الله بها لمجرد ذلك المبذول المحتقر .

---

(٥٨) انظر السابق .

(٥٩) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى ( ١٧٧/٨ ) ، وأبو داود (٣٢٨٩) ، والترمذى (١٥٢٦) ، والنسائى ( ١٧/٧ ) ، وابن ماجه (٢١٢٦) ، وأحمد ( ٣٦/٦ ، ٤١ ، ٢٢٤ ) ، والدارمى ( ١٨٤/٢ ) .

وإن كان المبذول كثيراً والعبد مطيع لله : فهو أكرم على الله من أن يحوجه إلى ذلك المبذول الكثير ؛ فليس النذر سبباً لحصول مطلوبه كالدعاء ، فإن الدعاء من أعظم الأسباب ، وكذلك الصدقة وغيرها من العبادات جعلها الله تعالى أسباباً لحصول الخير ودفع الشر إذا فعلها العبد ابتداء ، وأما ما يفعله على وجه النذر فإنه لا يجلب منفعة ولا يدفع عنه مضرة ، لكنه كان بخيلاً فلما نذر لزمه ذلك ، فالله تعالى يستخرج بالنذر من البخيل ، فيعطى على النذر ما لم يكن يعطيه بدونه والله أعلم .

## الفهـــرس



رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٥٤٦٨

الترقيم الدولى ٢ - ٨٣ - ٥٢١١ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١